

الحلقة السادسة والتسعون

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

كلنا نعلم أن اللص لا يدخل البيوت من أبوابها، لكنه يحاول أن يستغل أية ثغرة، إن كان من النافذة أو أي منفذ آخر، أو عندما يكون الناس نياماً، لكي يدخل البيت ويسرق ما يريد سرقته. هل تعلم مستمعي أن نفس الأمر يحصل مع بعض دعاة الدين، إذ يحاولون تضليل الناس وخداعهم، وإيقاعهم في حبالهم المدمرة. وهؤلاء الدعاة يحاولون الدخول إلى عقول الناس وقلوبهم عن الطريق غير الشرعي، أي بوسائل الخداع والتضليل، ولذا يصح وصفهم باللصوص. وهو نفس الوصف الذي أطلقه المخلص المسيح عنهم. دون لنا البشير يوحنا ما تحدت به المسيح في هذا المجال. لنستمع الآن إلى ما قاله:

«الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ الَّذِي لَا يَدْخُلُ مِنَ الْبَابِ إِلَى حَظِيرَةِ الْخِرَافِ، بَلْ يَطْلُعُ مِنْ مَوْضِعٍ آخَرَ، فَذَلِكَ سَارِقٌ وَلِصٌّ. وَأَمَّا الَّذِي يَدْخُلُ مِنَ الْبَابِ فَهُوَ رَاعِي الْخِرَافِ. لِهَذَا يَفْتَحُ الْبُؤَابَ، وَالْخِرَافُ تَسْمَعُ صَوْتَهُ، فَيَدْعُو خِرَافَهُ الْخَاصَّةَ بِأَسْمَاءٍ وَيُخْرِجُهَا. وَمَتَى أَخْرَجَ خِرَافَهُ الْخَاصَّةَ يَذْهَبُ أَمَامَهَا، وَالْخِرَافُ تَتَّبِعُهُ، لِأَنَّهَا تَعْرِفُ صَوْتَهُ. وَأَمَّا الْغَرِيبُ فَلَا تَتَّبِعُهُ بَلْ تَهْرَبُ مِنْهُ، لِأَنَّهَا لَا تَعْرِفُ صَوْتَ الْغَرِيبِ». هَذَا الْمَثَلُ قَالَهُ لَهُمْ يَسُوعُ، وَأَمَّا هُمْ فَلَمْ يَفْهَمُوا مَا هُوَ الَّذِي كَانَ يُكَلِّمُهُمْ بِهِ. فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ أَيْضًا: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي أَنَا بَابُ الْخِرَافِ. جَمِيعُ الَّذِينَ أَتَوْا قَبْلِي هُمْ سَرَّاقٌ وَلِصُوصٌ، وَلَكِنَّ الْخِرَافَ لَمْ تَسْمَعْ لَهُمْ. أَنَا هُوَ الْبَابُ. إِنْ دَخَلَ بِي أَحَدٌ فَيَخْلُصُ وَيَدْخُلُ وَيَخْرُجُ وَيَجِدُ مَرَعَى. السَّارِقُ لَا يَأْتِي إِلَّا لِيَسْرِقَ وَيَذْبَحَ وَيُهْلِكَ، وَأَمَّا أَنَا فَقَدْ أَتَيْتُ لَتَكُونَ لَهُمْ حَيَاةً وَلِيَكُونَ لَهُمْ أَفْضَلُ» (بشارة يوحنا ١٠: ١-١٠).

صديقي المستمع، لقد بدأ المخلص المسيح حديثه بإعلان حقائق معروفة لدى سامعيه وهي: «إِنَّ الَّذِي لَا يَدْخُلُ مِنَ الْبَابِ إِلَى حَظِيرَةِ الْخِرَافِ، بَلْ يَطْلُعُ مِنْ مَوْضِعٍ آخَرَ، فَذَلِكَ سَارِقٌ وَلِصٌّ». ثم أضاف في نهاية حديثه قائلاً: «السَّارِقُ لَا يَأْتِي إِلَّا لِيَسْرِقَ وَيَذْبَحَ وَيُهْلِكَ». كانت تنتشر في تلك الأيام سرقة الخراف من الحظائر، وكان من الطبيعي أن لا يدخل السارق من باب الحظيرة. أما هدف السارق فهو لكي يسرق الخراف ويتاجر بها، وتكون النتيجة أن تُذبح وتهلك. لكن راعي الخراف يدخل من باب الحظيرة بكل اطمئنان،

ولهذا يفتح له البواب الباب. وليس هذا فحسب، بل إن «الْخِرَافَ تَسْمَعُ صَوْتَهُ، فَيَدْعُو خِرَافَهُ الْخَاصَّةَ بِأَسْمَاءٍ وَيُخْرِجُهَا. وَمَتَى أُخْرِجَ خِرَافَهُ الْخَاصَّةَ يَذْهَبُ أَمَامَهَا، وَالْخِرَافُ تَتَّبِعُهُ، لِأَنَّهَا تَعْرِفُ صَوْتَهُ». كانت الخراف تعرف صوت الراعي، وهو يستطيع أن يميز بينها، ويذهب أمامها وتتبعه.

أما السارق فهو غريب بالنسبة للخراف، لهذا كما قال المسيح إن الخراف: «لَا تَتَّبِعُهُ بَلْ تَهْرُبُ مِنْهُ، لِأَنَّهَا لَا تَعْرِفُ صَوْتَ الْغُرَبَاءِ». وهذا أمر طبيعي أن تهرب الخراف من الغرباء. وبما أن الجموع بما فيهم تلاميذ المسيح لم يفهموا ما قصده من هذا المثل كان لا بد له أن يوضح ما أراد قوله ولهذا تابع المسيح قائلاً: «الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي أَنَا بَابُ الْخِرَافِ. جَمِيعُ الَّذِينَ أَتَوْا قَبْلِي هُمْ سُرَاقٌ وَلُصُوصٌ، وَلَكِنَّ الْخِرَافَ لَمْ تَسْمَعْ لَهُمْ». إذن لقد قارن المخلص المسيح بهذا المثل بينه وبين معلّمي اليهود وأنبيائهم الكذبة الذين أتوا قبله، والذين وصفهم بالسراق واللصوص، بينما هو الراعي الحقيقي الذي تسمع له الخراف. وهو أيضاً الباب الصحيح الذي يجب أن تدخل منه الخراف إلى الحظيرة أي إلى ملكوت الله. لهذا تابع المخلص المسيح قائلاً: «أَنَا هُوَ الْبَابُ. إِنْ دَخَلَ بِي أَحَدٌ فَيَخْلُصُ وَيَدْخُلُ وَيَخْرُجُ وَيَجِدُ مَرْعَى». أي أن الإيمان به أي بالمخلص المسيح الذي هو الباب، يخلص الإنسان ويجعله ينال كل نعم الله وبركاته.

هل تعلم مستمعي أن الكثيرين مازالوا حتى اليوم يندفعون بالأنبياء والمعلّمين الكذبة؟ مع أن هدف هؤلاء الأنبياء والمعلّمين هو خداعهم وتضليلهم، ثم الذهاب بهم إلى الهلاك؟ فكم من إنسان نراه يندفع بتعاليم ضالة ويقاوم رسالة الخلاص المفرحة التي أتى بها المخلص المسيح؟ ألم تسمع صديقي أولئك الذين يدعون مثلاً أن المسيح لم يُصلب ولم يمت بل شبه له؟ فمن أين أتى مثل هذا التعليم الباطل؟ أو لم تسمع أيضاً بادعاء بعضهم أن كتب التوراة والإنجيل قد حرّفت؟ إن كل هذه التعاليم وغيرها قد أتى بها مع الأسف أنبياء ومعلّمون كذبة هدفهم تضليل الناس وخداعهم.

لكن المخلص المسيح أوضح بكل جلاء بالآيات المقدّسة التي ذكرناها، أنه هو الراعي الحقيقي الذي يسعى من أجل مصلحة الخراف أي البشر الخاطئة. وأنه هو الباب الذي يجب أن ندخل منه لكي نحظى بالخلاص الأكيد الكامل، وبكل بركات ونعم الله، أي على عكس أولئك المعلّمين والأنبياء الكذبة. ولهذا نجد المسيح يضيف قائلاً: «وَأَمَّا أَنَا فَقَدْ أَتَيْتُ لِتَكُونَ لَهُمْ حَيَاةً وَلِيَكُونَ لَهُمْ أَفْضَلُ» إن الإنسان الذي يؤمن بالمخلص المسيح لا ينال الغفران عن خطايا فحسب، لكنه يحظى بالحياة الفضلى، أي الحياة الروحية الجديدة، المليئة بثمار الروح القدس حيث السلام القلبي الداخلي، وفرح الله الدائم الذي يملأ حياته. ولقد استطاع المخلص المسيح تأمين هذه

النعم والبركات جميعاً للإنسان الخاطيء لأنه الراعي الصالح الذي بذل نفسه عن البشر الخطاة، بموته الكفاري على خشبة الصليب. فهو حقاً الراعي الصالح الذي سعى لنجاة الإنسان وإنقاذه من الهلاك الأبدي، على عكس الأنبياء والمعلمين الكذبة.

هل تود مستمعي أن يكون المخلص المسيح هو راعيك الصالح الذي تتبعه والباب الذي تدخل منه للحياة الفضلى؟ أو لا ترغب أن لا تقع فريسة لأولئك الأنبياء والمعلمون الكذبة الذين يقودون الناس نحو الهلاك الأبدي؟ لما لا تؤمن الآن بهذا المخلص الفريد وهكذا تحظى بالحياة الفضلى التي نصبو لها جميعاً؟